العنوســـــة

[ظاهرة لا يمكن إنكارها.. وقضية تستحق الاهتمام]

المقدمة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.

شرع الإسلام الزواج لمقاصد سامية ولتحقيق غايات عظيمة جليلة، منها أنه وسيلة من وسائل العفاف والإحصان والعفة لقول النبي ﷺ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء".

ومن أهداف الزواج أيضًا أنه سببٌ لبقاء النوع البشري والإنساني، كما أنه وسيلة إيجابية لتحقيق الأمومة والأبوة وصناعة الأجيال المتلاحقة لإقامة المجتمع المسلم، هذه الأهداف وهذه الغايات السامية إذا تعطل هذا الزواج ولم يتم فإنه يحدث فيها خلل كبير.

ولقد نفشت في بعض المجتمعات ظاهرة العزوبة لدى الشباب، والعنوسة لدى النساء، وترجع هذه الظاهرة إلى عوامل عدة أهمها: الغلاء الفاحش في المهور وإعداد بيت الزوجية مما يرهق الشباب ويجعلهم يعزفون عن الزواج، وكذلك أسباب اجتماعية ترجع إلى التفاخر والعجب والكفاءة على أسباب دنيوية، وأسباب نفسية خلقتها صورة خيالية عن فتاة المستقبل أو فتى الأحلام ليست موجودة على أرض الواقع.

ولقد كانت أمور الزواج من أسهل ما يكون، ولكن الناس وفي عصرنا خاصة، عَسَّرُوا ما يَسَّرَ الله، وضيقوا ما وَسَّعَ الله، شَدَّدُوا على أنفسهم ولم يشدد الله عليهم، حتى رأينا العزوبة عند الشبان، والعنوسة عند الفتيات، نرى شابًا بلغ الثلاثين أو أكثر من عمره ولم يتزوج، ونرى فتاة بلغت الثلاثين أو أكثر ولم تتزوج، ونعلمها لا تتزوج بعد ذلك، حينما يقول الناس: فاتها القطار.

والزواج آية من آيات الله تعالى ونعمة من نعمه، كما قال سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وإنصافًا للفتاة العربية فإن ظاهرة العنوسة ليست ظاهرة مقصورة على المجتمعات العربية وحدها، وإنما هي بطبيعة الحال ظاهرة عالمية، غير أن الغرب الذي يعاني أيضًا من ظاهرة العنوسة لا يشعر بحدتها مثل المجتمعات العربية نظرًا لأن الزنا عندهم ليس محرمًا، بل تظل المرأة تعاشر الرجل معاشرة الأزواج سنوات طويلة وقد تنجب سفاحًا، وفي النهاية قد يقرران الزواج أو الانفصال.. هكذا بكل بساطة.

فالعنوسة هذا الشبح يوخذ بين العرب.. ويسرق النوم من عيون الآباء والأمهات.. مجتمعات الرفاهية المادية في الخليج لم تسلم من ضرباته.. والدول الأقل دخلًا تدفع فاتورة مضاعفة لأزماته التي لا تنتهي.. الأرقام مفزعة.. ووصفات الحل تتوالى بلا فاعلية.. وخطط المواجهة حبيسة الأفكار النظرية.

ومن المؤسف أن يصل بعض الشباب إلى سن الثلاثين أو أكثر، وهو لم يفكر بعد في موضوع الزواج، وما انفتحت أبواب الفساد إلا لما وضعت العراقيل أمام الراغبين في الزواج، بل لم ينتشر الانحلال والدعارة والعلاقات المشبوهة والسفر إلى بيئات موبوءة ومستنقعات محمومة إلا بتعقيد أمور الزواج.

لقد أصبحت العنوسة ظاهرة اجتماعية مؤرقة أفرزتها الحياة المعاصرة وهي ظاهرة لا يمكن إنكارها وإن لم يتعود عليها مجتمعنا بحكم العادات والتقاليد من قبل، ولكنها تجلت الآن وبصورة واضحة، بل هي تكبر وتتسع وتفرض نفسها علينا كأمر واقع، فتدق أبواب البيوت بقوة بفضل مسيرتها وخطواتها السرطانية السريعة، ونحن ننظر ونستسلم لها دون مقاومة، فارتفاع نسبة العوانس يضعنا أمام مسؤولية كبرى لتجنب زيادة هذه الظاهرة.

ومن هذا المنطلق أقدم هذا الإصدار من [سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع] لنقف وقفةً مع إحدى أبرز قضايانا الاجتماعية المتعلقة بقضايا الزواج؛ لنتشخص فيها ظاهرة من أخطر الظواهر الأسرية التي لها آثارها وأخطارها على الفرد والمجتمع والأمة.

وسوف نستعرض خلال هذا الإصدار انتشار ظاهرة العنوسة في مجتمعنا، تعريف العنوسة، آثار العنوسة وأضرارها، أسباب العنوسة، ظاهرة العنوسة في ضوء القرآن والسنة، وآراء علماء النفس والاجتماع والخبراء، عرض لبعض الحالات الواقعية لفتيات فاتهن قطار الزواج، تقديم الكثير من الحلول والآراء لمواجهة هذه المشكلة وعلاجها والوقاية

منها... إلى جانب بعض من الموضوعات المتعلقة بمشكلة العنوسة.. وذلك من أجل تنمية وعى الوالدين والأبناء والجميع بالجوانب المختلفة المتعلقة بمشكلة العنوسة حيث إنها ظاهرة لا يمكن إنكارها وقضية تستحق الاهتمام.. وأدعو الله أن أكون قد وفقت فى بعض هذا الموضوع المهم، وأن ينتفع به الجميع المنفعة القصوى.. وأن يفيد هذا الإصدار فى علاج ظاهرة العنوسة والوقاية منها.

obeikandl.com